

قراءة عبدالله بن أبي اسحاق في الميزان

د . محمود حسني محمود
الجامعة الأردنية

Abstract

This paper deals with the reading of Ibn Abi Ishaq. One of the early grammarians who made a break-through in the study of grammar, paving the way for their followers on whom they left their great impact. This study was prompted by the need to illustrate and calrify that influence. The paper demonstrates that Ibn Abi Ishaq derived his reading from different sources most important of which were the morphological, syntactic and semantic aspects as well as the tribes' dialects. It has also shown that this reading had various characteristics such as its distinction from the Qur'anic calligraphy, the plurality of reading the same utterance and the propensity to the accusative case. Besides this, it has revealed that Ibn Abi Ishaq's reading had provoked linguists in general and grammarians in particular into embarking on further research and led them to engage in lengthy discussions, which left a great effect on linguistic studies.

ملخص

يتناول هذا البحث قراءة أحد النحاة الأوائل الذين شقوا طريق النحو ومهدوه لمن جاء بعدهم من النحاة، وكان لقراءتهم أثر في هذا التشكيل، فكان البحث ضرورياً لبيان هذا الأثر وجلالته، وقد تمكن البحث من بيان أن ابن أبي اسحاق كان قد اختار قراءته بتوجيه عوامل مختلفة أهمها الدلالة النحوية والدلالة المعنوية ولغات القبائل. وتمكن من بيان أن هذه القراءة كانت ذات ملامح عديدة أبرزها مخالفة الرسم القرآني، وتعدد قراءات اللفظ الواحد، والفرغ إلى النصب، وتمكن هذا البحث أيضاً من بيان أن هذه القراءة كانت مركز اهتمام عند علماء اللغة وبخاصة علماء النحو فأثارت روح البحث والدرس فيهم، فوقفوا عندها وناقشوها سلباً أم إيجاباً، فكان لذلك أثر بين في الدراسات اللغوية.

عبدالله بن أبي اسحاق النحوي القاريء واحد من اللغويين الرواد الأوائل، الذين أخذوا على عاتقهم الحفاظ على اللغة، وتقويم الألسنة، والذين شقوا الطريق بجد وجدل وأناة فمهدوها وهياؤها لأن تلمع أسماء من بعدهم نجومها عالية دون أن يكون لأسمائهم بريق أو لمعان أسير.

وهو يأتي في الطبقة الرابعة من طبقات النحاة واللغويين وذلك بعد طبقة أبي الأسود الدؤلي وطبقة عنبسة وطبقة ميمون الأقرن الذي أخذ ابن أبي اسحاق النحو عنه^(١). وقد أخذ

(١) انظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٢هـ) - الفاضل في اللغة والأدب - تحقيق عبدالعزيز الميمني - سنة ١٩٥٥م - ص ٥.

النحو عن ابن أبي اسحاق عيسى بن عمَرَ الذي أخذه عنه الخليل بنُ أحمد الذي أخذه عنه سيبويه الذي أخذه عنه سعيد بن مسعدة الأخصس الأوسط^(٢).

وقد اختلفت الروايات في سنة وفاته فقيل : سنة ١٢٧هـ^(٣)، وقيل : سنة ١٢٩هـ^(٤)، لكن أرجحها تلك التي ذكرت سنة ١١٧هـ وهو ابنُ ثمانٍ وثمانين سنة، ذلك أن حفيده يعقوب الحضرمي كان يقول : « مات جدي عبدالله سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه بلال بن أبي بردة »^(٥).

وقد قرأ النحو على يحيى بن يعمر أيضاً، وقرأ هو وأبو عمرو بن العلاء على عاصم فكان هو وأبو عمرو رقيقين^(٦)، إلا أن أبا عمرو « بقي بعده بقاء طويلاً »^(٧) ومع ذلك فقد كان يقال في ابن أبي اسحاق أنه « أعلم أهل البصرة »^(٨) و « كان رئيس الناس وأوحدهم »^(٩).

ويبدو أن أبا عمرو كان يُقرَنُ به وكانت الناسُ تقارِنُ بينهما فقيل كان أبو عمرو أشدَّ تسليماً للعرب وابنُ أبي اسحاق وعيسى بن عمَرَ يطعنان عليهم^(١٠). وكان أبو عمرو أوسع

- (٢) انظر : ياقوت الحموي - معجم الأدباء - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأخيرة - ج ١٦ / ١٤٦.
- (٣) انظر : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م) - بغية الوعاة - ج ٢م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر - الطبعة الثانية - ١٩٧٩ ج ٢ / ٤٢.
- (٤) انظر : شمس الدين بن الجزري (ت ٨٣٣هـ - ١٤٢٩م) - غاية النهاية في طبقات القراء - نشر برجستراسر - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٠م - ج ١ / ٤١٠.
- وانظر : ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) - تهذيب التهذيب - حيدر آباد - الطبعة الأولى - سنة ١٣٢٦هـ - ج ٥٣ / ١٤٨.
- (٥) انظر : كمال الدين بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ - ١١٨١م) - نزهة الألباء في طبقات الأدباء - م١ - تحقيق د. إبراهيم السامرائي - مكتبة المنار - الزرقاء - الطبعة الثالثة - ١٩٨٥م - ص ٢٨.
- وانظر : أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ - ١٢٢٦م) - أنباء الرواة - م٤ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - ج ٢ ص ١٠٧.
- وانظر : ابن الجزري - غاية النهاية - ج ١ ص ٤١٠.
- (٦) انظر : ابن الأنباري : نزهة الألباء - ص ٢٨.
- (٧) انظر : محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) - طبقات فحول الشعراء - م٢ - تحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - القاهرة - ١٩٧٤ - ج ١ ص ١٤.
- (٨) انظر : أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) - مراتب النحويين - م١ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة السعادة - القاهرة - سنة ١٩٥٤م - ص ١٢.
- (٩) انظر المصدر نفسه ص ١٢.
- (١٠) انظر : أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي (ت ٣٦٨هـ) - أخبار النحويين البصريين - م١ - تهذيب فريش كرنكو - الطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٣٦م - ص ٢٥.

علمًا بكلام العرب ولغاتها وغريبها^(١١).

وكان ابن أبي اسحاق أشدَّ تجريدًا للقياس^(١٢)، وقد شغل الناس بالمقارنة بينهما فجمع بلال بن أبي بردة بينهما^(١٣) - وكان على البصرة والياً - ليتناظرا فغلب ابن أبي اسحاق. قال أبو عمرو: «ما ناظرني أحد قط إلا غلبته وقطعته إلا ابن أبي اسحاق فإنه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز فقطعني، فجعلت قبالي على الهمز ما كنتُ دونه»^(١٤).

ويبدو أن ابن أبي اسحاق كان أول من فتح باب النحو واسعاً بعد أن كان ينحصر ويحد في حدود ضيقة، قال عنه ابن سلام الجمحي: «وكان أول من بعج النحو ومدد القياس والعلة»^(١٥) وكان يبالي في الاعتماد على القياس، قال ابن سلام: «قلت ليونس: هل سمعت من ابن أبي اسحاق شيئاً؟ قال: «قلت له: هل يقول أحد الصويق؟ يعني: السويق. قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها: وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرده وينقاس»^(١٦).

ويبدو أن يونس كان معجباً بعلم ابن أبي اسحاق إلا أنه يعترف بأن النحو اتسع بعده وتزايد حتى صار علمه ضئيلاً بالنسبة إلى ما صار إليه في ما بعد، قال ابن سلام: «وسمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي اسحاق وعلمه، قال: هو والنحو سواء، أي هو الغاية، قال: فأين علمه من علم الناس اليوم: قال: لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه يومئذ

- (١١) انظر: السيرافي - أخبار النحويين البصريين - ص ٢٥.
وانظر: ابن الأنباري - نزهة الألباء - ص ٢٦.
وانظر: جلال الدين السيوطي - (ت ٩١١هـ) - بغية الدعاة - م ٢ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر - الطبعة الثانية - ١٩٧٩م - ج ٢ ص ٤٢.
- (١٢) انظر: الجمحي - طبقات فحول الشعراء ١/١٤.
وانظر: السيرافي - أخبار النحويين البصريين ص ٢٥.
- (١٣) انظر: السيرافي - أخبار النحويين والبصريين ص ٢٦.
وانظر: ابن الأنباري - نزهة الألباء ص ٢٦.
- (١٤) أبو القاسم الزجاجي - (ت ٣٤٠هـ) - مجالس العلماء - م ١ - تحقيق عبدالسلام هارون - الكويت - ١٩٦٢م - ص ٢٤٣.
- (١٥) الجمحي - طبقات فحول الشعراء - ج ١ ص ١٤.
- (١٦) المصدر نفسه ج ١ ص ١٥.
وانظر: أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ) - أنباء الرواة - م ٤ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٥٠م - ج ٢ ص ١١٧.
السويق: طعام يتخذ من الشعير والحنطة.

لُصِّحَكَ بِهِ ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونقاؤه ونظَرُ نَظَرِهِمْ كان أعلمَ الناسِ» (١٧).

وكان ابنُ أبي اسحاقٍ يحاولُ أن يفرض النحوَ على الناسِ حتى يُطبقوه في كلامهم وكتابتهم ولما كان النحوُ في بدايته كان لا بد أن يلاقي النحاةُ عنتاً ومقاومةً وبخاصةً من أمثالِ الفرزدقِ فكان ابنُ أبي اسحاقٍ يتعقبه «ويكثرُ الردُّ عليه والتعنُّتُ له» (١٨) فلما قال الفرزدقُ في قصيدةٍ يمدحُ فيها يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ (١٩) :

مستقبلين شمالَ الشامِ تضربنا بحاصبِ كنفيدِ القطنِ منشورِ
على عمائمنا يُلقى وأرحلنا على زواحفٍ تُزجي مَجْها ريرِ

ألحَّ عليه ابنُ أبي اسحاقٍ وعابهُ على خَفْضِ «رير» في البيتِ الثاني وقال له : «أسأتَ إنما هي «رير» وكذلك قياسُ النحوِ في هذا الموضع» (٢٠). فغيَّره الفرزدقُ وقال :

على زواحفٍ تُزجيها محاسيرِ (٢١)

فترك الناسُ هذا ، ورجعوا إلى الأولِ (٢٢).

أما يونسُ فقد سوغَ قولَ الفرزدقِ وقال : والذي قال حسنٌ جائزٌ (٢٣) ، وتفسيرُ ذلك : على زواحفٍ ريرٍ مَجْها تُزجي (٢٤).

- (١٧) ابن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء - ج١ ص١٥ .
وانظر : السيرافي - أخبار النحويين البصريين ص٢٦ .
وانظر : السيوطي - بغية الوعاة - ج٢ ص٤٢ .
(١٨) السيرافي - أخبار النحويين البصريين ص٢٦ .
(١٩) المصدر نفسه ص٢٧ .
والجمحي : طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٧ .
الشمال : الريح الباردة . الحاصب : ما تنثر من دقائق البرد والثلج .
والزواحف : الأبل التي أضناها السفر . أزجى الدابة : ساقها سوقاً رقيقاً .
عظمها ورق جلدها وذاب مخ عظمها (من حاشية طبقات فحول الشعراء) .
(٢٠) الجمحي - طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٧ .
(٢١) الجمحي - طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٧ .
السيرافي - أخبار النحويين البصريين ص٢٧ .
(٢٢) الجمحي - طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٧ .
وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي - (ت٣٧٩هـ) - طبقات النحويين واللغويين - م١ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - الطبعة الأولى - سنة ١٩٥٤م - ص١٦ .
(٢٣) الجمحي - طبقات فحول الشعراء ج١ ص١٧ .
(٢٤) المصدر نفسه (الحاشية) ج١ ص١٧ .

وقد ثار الفرزدقُ على ابنِ أبي اسحاقَ لموقفهِ هذا فقال له : « والله لأهجوئك بيتِ يكونُ شاهداً على ألسنةِ النحويين أبداً^(٢٥) » وهو :

فلو كان عبدُ الله مولى هجوته ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليا^(٢٦)

فخطأهُ ابنُ أبي اسحاقَ في هذا، وقال له : لحنْتَ، ينبغي أن تقولَ : مولى موال . أما يونسُ فقد جوزَ النصبَ كما ورد في البيت، وقيل بالنصبِ الخليلُ وسيبويه بناءً على إجراءِ موالِي على الأصل للضرورة الشعرية قال سيبويه : « ويقولُ يونسُ للمرأة تسمى بقاضٍ : مررت بقاضي قبل، ومررت بأعيمي منه، فقال الخليل : لو قالوا هذا لكانوا خلقاء أن يلزموها الجرَّ والرفعَ كما قالوا حين اضطروا في الشعر فأجروه على الأصل فقال الفرزدق :

فلو كان عبد الله . . .

فلما اضطروا إلى ذلك في موضعٍ لا بد لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل^(٢٧) .

وقد فتحَ ابنُ أبي اسحاقَ بابَ التخطئةِ هذا لتلميذه عيسى بنِ عمَرَ الذي خطأ النابغة فكان يقول : « أساء النابغة في قوله حيث يقول :

فبتُ كأي ساورتني ضئيلةً من الرقشِ في أنيابها السُمُ ناقعُ

. . . يقول : موضعها : ناقعاً^(٢٨) . أما سيبويه فقد سوَّغَ الرفعَ والنصبَ قال : هذا بابُ ما ينتصبُ فيه الخبرُ، لأنه خبرٌ لمعروفٍ يرتفعُ على الابتداءِ قدمته أو آخرته وذلك قولك : فيها عبدُ الله قائماً، وعبدُ الله فيها قائماً، . . . وإن شئت الغيت « فيها » وقلت : فيها عبدُ الله قائم قال النابغة :

فبتُ كأي ساورتني ضئيلةً من الرقشِ في أنيابها السُمُ ناقعُ^(٢٩)

(٢٥) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ص ١٢ .

(٢٦) الجمحي : طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٨ .

وانظر : أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ص ١٢ .

وانظر : السيرافي : أخبار النحويين البصريين ص ٢٧ .

(٢٧) أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه (ت ١٨٠ هـ) - كتاب سيبويه - م٥ - تحقيق عبدالسلام هارون -

عالم الكتب - بيروت، ج ٣ ص ٣١٢-٣١٣ .

(٢٨) الجمحي - طبقات فحول الشعراء - ج ١ ص ١٦ .

(٢٩) سيبويه - كتاب سيبويه ج ٢ ص ٨٩ . ساورتني : واثبتني . الضئيلة : الدقيقة . الرقش : جمع رقشاء وهي المنقطة

بسواد . الناقع : الخالص أو الثابت (حاشية الكتاب) .

وكان ابنُ أبي اسحاق يوجِّه الشعرَ - على الرغمِ من تشدُّده - توجيهاً مقبولاً لا يعرفهُ يونسُ ولا أبو عمرو بنُ العلاء، قال ابنُ سلام : «وقال يونسُ : قال ابنُ أبي اسحاق في بيت الفرزدق :

وعضُّ زمان يا ابنَ مروانٍ لم يدعُ من المالِ إلّا مسحاً أو مجرفاً
ويروى أيضاً مجلِّفٌ . . . للرفعِ وجه : قال أبو عمرو : ولا أعرفُ لها وجهاً وكان
يونسُ لا يعرف لها وجهاً، قلت ليونس : لعل الفرزدق قالها على النصبِ ولم يأتبه ! فقال :
لا، كان يُنشدها عليه الرفعِ ، وأنشد فيها رؤية على الرفعِ «(٣٠)» .

ويبدو أن الفرزدق كان يحاول حضور مجلسِ ابنِ أبي اسحاق ليستفيدَ منه ويتلافى تخطئته إلّا أن ابنَ أبي اسحاق كان يتعمد إثارته فقد قال له في أحد مجالسه، كيف تُنشدُ هذا البيت :

وعينانِ قال الله كونا فكانتا فعولانِ بالألْبَابِ ما تفعلُ الخمر
قال الفرزدق : كذا أنشده، فقال ابنُ أبي اسحاق : ما كان عليه لو قلت : فعولين
فقال الفرزدق : لو شئت أن أسبِح لسبحتُ . فقال ابنُ أبي اسحاق : لو قال فعولين، لأخبر
أن الله خلقهما وأمرهما، ولكنه أراد : هما يفعلانِ بالألْبَابِ ما تفعلُ الخمرُ «(٣١)» .

ولعل براعة ابنِ أبي اسحاق في النحو واللغة هي التي فتحت له المجال لأن يجلي ويبرع في القراءات فقد كان «أحد الأئمة في القراءات والعربية» «(٣٢)» قرأ على يحيى بن يعمر «(٣٣)»، وقرأ هو وأبو عمرو بنُ العلاء على نصر بنِ عاصم «(٣٤)» . وروى عن أنس بن مالك «(٣٥)»، وهو من عائلة توارثت علمَ القراءة فقد روى عن أبيه عن جدِّه عن علي بن أبي طالب وعثمان بن وهب، وهو جدُّ يعقوب أحد القراء العشرة وقد روى عن جدِّه «(٣٦)» . وهو في رأي الأستاذ

(٣٠) الجمحي : طبقات فحول الشعراء ٢١/١ . الجلف : الذي ذهب خيره (الحاشية).

(٣١) الزجاجي : مجالس العلماء ص ٢٧١ .

(٣٢) السيوطي : بغية الدعاة ج ٢ ص ٤٢ .

(٣٣) ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ٢٨ .

القفطي : أنباه الرواة ج ٢ ص ١٠٥ .

ابن الجزري : غاية النهاية : ج ١ ص ٤١٠ .

(٣٤) ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ٢٧ .

(٣٥) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٤٨ .

(٣٦) المصدر نفسه ج ٥ ص ١٤٨ .

سعيد الأفغاني «أفضل من بعض القراء السبعة»^(٣٧)، وأخذ عنه القراءة عيسى بن عمر وأبو عمرو وهارون بن موسى^(٣٨).

وقد كان جريئاً في قراءته غير هيب أحدًا حتى بلال بن أبي بردة كان يخالفه ولا يهابه، فقد اختلفا في قراءة (بمَلِكِنَا)^(٣٩) فقرأ ابن أبي بردة بفتح الميم، وقرأ ابن أبي اسحاق بضم الميم، فتناقشا واختلفا، فتراضيا بأبي عمرو ففضل قول بلال، فقال له ابن أبي اسحاق: أما قرأنا على مجاهد (بمَلِكِنَا)؟ فقال له أبو عمرو: أخبرت بما عندي^(٤٠).

وكان ابن أبي اسحاق يلجأ إليه في تبيين الصحيح في القراءة، فهذا يونس يأتيه ويسأله: كيف تقرأ (فإذا برق البصر)^(٤١) فيقول: فإذا برق البصر ويفتح الراء، فيمضي يونس إلى أبي عمرو، فيسأله هذا: من أين بك؟ فيقول من عند ابن أبي اسحاق، سألته كيف تقرأ: فإذا برق البصر، فقال: فإذا برق البصر بفتح الراء، فيقول أبو عمرو: وكان بينهما تنافس شديد - وأين يراد به يقال: برقت السماء وبرقت الأرض، فأما البصر فبرق كذا معنا^(٤٢).

وكان قادراً على أن يفرق بين دقائق الأمور في اللغة والقراءة، فقد اختلف في قراءة (حتى إذا بلغ بين السدين)^(٤٣) في حركة السين، فقال عكرمة: كل ما كان من صنع الله جل وعز فهو سد بالضم، وما كان من صنعة بني آدم سد بالفتح، وقال أبو عمرو بن العلاء: هو الحاجز بينك وبين الشيء، والسد بالضم ما كان من غشاوة في العين. أما ابن أبي اسحاق فقال: السد بالفتح ما لم تره عينك، والسد بالضم ما رآته عينك^(٤٤).

(٣٧) انظر: أبوزرعة عبدالرحمن بن محمود بن زحلة (ت ٤٠٣هـ - ١٠١٢م) حجة القراءات (الحاشية) - ج ١ - تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة - بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - ص ١٨ (الحاشية للمحقق).

(٣٨) ابن الجزري: غاية النهاية ج ١ ص ٤١٠.

(٣٩) سورة طه آية ٨٧.

(٤٠) الزجاجي: مجالس العلماء - مجلس ١١٦ ص ٢٤٧.

(٤١) سورة القيامة آية ٧.

(٤٢) الزجاجي: مجالس العلماء - مجلس ١١٦ ص ٢٤٧.

(٤٣) سورة الكهف آية ٩٣.

(٤٤) انظر: أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ - ١٩٥٠م) إعراب القرآن - م ٣ - تحقيق د. زهير

غازي زاهد - مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٩م - ج ٢ ص ٢٩٣.

وانظر: أبوحيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ - ١٣٥٣م) - البحر المحيط - م ٨ - مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى

١٣٢٨هـ - ج ٣ ص ١٦٣.

وكان علماء العربية والقراءات يُجْلِبُونَهُ من خلال الإشارة إلى قراءاته، فهذا ابن النحاس يقول فيه بعد أن يشير إلى قراءته بعض أواخر الكلمات بياء : «وقد قرأ ابن أبي اسحاق على جلالته ومحله من العربية هذه كلها بالياء»^(٤٥). وهذا أبو حيان يدفع عنه أن يقرأ قراءة لا وجه لها في العربية ويرى أن ذلك حصل وإنما يعود إلى وهم القراء وذلك كما حدث في قراءته قوله تعالى (إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا)^(٤٦) بتشديد شين (تشابهه) والحق تاء تأنيث في مرة أخرى أي (تَشَابَهَتْ) فقد قال في هذه القراءة : «ويمكن أن توجه هذه القراءة على أن أصله (اشابهت) والتاء هي تاء البقرة وأصله أن البقرة اشابهت علينا، ويُقوي ذلك إلحاق تاء التأنيث في آخر الفعل و (اشابهت) أصله تَشَابَهَتْ فأدغمت التاء في الشين واجتلبت همزة الوصل فحين أدرج ابن أبي اسحاق القراءة صار اللفظ أن البقرة اشابهت فظن السامع أن تاء البقرة هي تاء في الفعل إذ النطق واحد فتوهم أنه قرأ : تَشَابَهَتْ وهذا لا يُظنُّ بابن أبي اسحاق فإنه رأس في علم النحو وقد كان ابن أبي اسحاق يُزري على العرب وعلى من يستشهد بكلامهم كالفرزدق إذا جاء في شعرهم ما ليس بالمشهور في كلام العرب فكيف يقرأ قراءة لا وجه لها»^(٤٧). «وكيف لا يجلبونه وهو من أهل بيت العلم بالقرآن والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف والفقهاء»^(٤٨).

ينابيع قراءته :-

والمتبوع قراءة ابن أبي اسحاق يتبين له أنها مختارة بتوجيه عوامل عدة، وذلك يُعرف من خلال عرض علماء القراءات لها واستدلالهم على حُجَّتِها ومن هذه الينابيع :-
الأصل اللغوي للفظ، لغات القبائل المختلفة، المدلول النحوي، المدلول المعنوي، الآيات القرآنية والانسجام القرآني.

أ - الأصل اللغوي :

فقد قرأ (القدس)^(٤٩) بالضم على الأصل، قال مكِّي بن أبي طالب عن وجوه قراءة هذا اللفظ : «قراءة ابن كثير بالإسكان حيث وقع على الاستخفاف لتوالي ضمّتين

(٤٥) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٢ ص ٤٩٢.

(٤٦) سورة البقرة آية ٧٠.

(٤٧) أبو حيان : البحر المحيط ج١ ص ٢٥٤.

(٤٨) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ٥١.

(٤٩) سورة البقرة آية ٨٧.

وهي لغة، تقول العرب الحُلْمَ والحُلْمَ والطَّبَّ والطَّبَّ والقُدْسَ والقُدْسَ. وقرأه الباكون بالضم على الأصل وهو الاختيار لإجماع القراء عليه ولقلة حروف الكلمة وخفتها. وبذلك قرأ الحسن ومجاهد وابن أبي اسحاق^(٥٠).

وقرأ (عليهم) ^(٥١) بضم الهاء ومدَّ ضمَّ الميم ليتحول واواً على الأصل قال ابن جني: «قرأ (عليهم) ابن أبي اسحاق وعيسى الثقفي... قال أبو الفتح أما (عليهم) فهي الأصل لأنها رسيمة عليهما في التشفية أعني: ثبات الواو كثبات الألف، وينبغي أن تعلم أن أصل هذا الاسم المضمير الهاء ثم زيدت عليها الميم علامة لتجاوز الواحد من غير اختصاص بالجمع ألا ترى الميم موجودة في الثنية (عليهما) وأما الواو فلا خلاص الجمعية»^(٥٢). وقال ابن النحاس: «قرأ ابن أبي اسحاق (أنعمت عليهم) بضم الهاء وإثبات الواو وهذا هو الأصل أن تثبت الواو كما تثبت الألف في الثنية»^(٥٣).

وقرأ (ومن أوفى بما عاهد عليه الله)^(٥٤) على الأصل^(٥٥).

وقرأ (اشترُوا الضلالة)^(٥٦) على الأصل، قال ابن النحاس: «قرأ ابن أبي اسحاق ويحيى بن يعمر (اشترُوا الضلالة) بكسر الواو على الأصل لالتقاء الساكنين. وأجاز الكسائي (اشترُوا الضلالة) بضم الواو كما يقال (أقتت)^(٥٧)»^(٥٨).

وكان يقرأ (فتمنوا الموت)^(٥٩) بالكسر أيضاً^(٦٠).

(٥٠) انظر: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ - ١٠٤٥م) - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها

٢ - تحقيق الدكتور محي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٤م - ج١ - ص ٢٥٣.

(٥١) سورة الفاتحة آية ٧.

(٥٢) انظر: أبو الفتح عثمان بن جني - (ت ٣٩٣هـ - ١٠٠٢م) - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات - تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبدالفتاح شلبي - لجنة إحياء التراث الاسلامي - القاهرة - ١٩٦٩م - ج١ ص ٤٤.

(٥٣) ابن النحاس: إعراب القرآن ج١ ص ١٢٤.

(٥٤) سورة الفتح آية ١٠.

(٥٥) انظر: ابن النحاس - إعراب القرآن ج٣ ص ١٨٨.

(٥٦) سورة البقرة آية ١٦.

(٥٧) سورة المرسلات آية ١١.

(٥٨) ابن النحاس: إعراب القرآن ج١ ص ٣٦٧.

(٥٩) سورة البقرة آية ٩٤.

(٦٠) أبو حيان - البحر المحيط ج٢ ص ٣١٠.

ولعلّه في هذا الاتجاه - كسر أول الساكنين وهو أصل التخلص من التقاء الساكنين - متأثرٌ بأستاذه يحيى بن يعمر الذي كان يقرأ^(٦١) بالكسر أيضاً (ولا تنسوا الفضل بينكم)^(٦٢) ويُلاحظ في كتاب سيويه أن سيويه والخليل كانا يميلان إلى الضم لأن الكسر لغة قليلة قال : «هذا باب ما يُضمُّ من السواكن إذا حذفت بعد ألف الوصل وذلك الحرف الواو التي هي علامة الاضمار إذا كان ما قبلها مفتوحاً وذلك قوله عز وجل (ولا تنسوا الفضل بينكم) ورموا ابنك واخشوا الله، فزعم الخليل أنهم جعلوا حركة الواو ليفصل بينها وبين الواو التي هي من نفس الحرف نحو واولو واول. وقد قال قوم (لا تنسوا الفضل بينكم) جعلوها بمنزلة ما كسروا من السواكن وهي قليلة»^(٦٣).

ب - لغات القبائل :

فكان يقرأ (هُدًى) بقلب ألف آخر المقصور ياءً إذا أُضيفَ إلى ياء المتكلم على لغة هذيل قال ابن جني «... ومن ذلك قراءة النبي ﷺ وأبي الطفيل وعبدالله بن أبي اسحاق وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفي (هُدًى)^(٦٤). قال أبو الفتح : هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم أن يقلبوا الألف من آخر المقصور إذا أُضيفَ إلى ياء المتكلم ياءً، قال الهذلي :

سبقوا هوىً وأعنقوا لهواهم فخرموا ولكل جنبٍ مصرع^(٦٥)

وعلل أبو علي الفارسي هذه اللغة بقوله : «وجه قلب هذه الألف لوقوع ياء ضمير المتكلم بعدها أنه موضع ينكسر فيه الصحيح نحو : هذا غلامي ورأيت صاحبي، فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها ياءً فقالوا : هذه عصي وهذا فتى، أي عصاي وفتاي، وشبهوا ذلك بقول : مررت بالزيدين، لئلا لم يتمكنوا من كسر الألف للجر قلبوها ياءً ولا يجوز أن تقلب ألف التثنية هذه الياء فتقول : هذان غلامي لما فيه من زوال علم

(٦١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٣٨.

(٦٢) سورة البقرة آية ٢٣٧.

(٦٣) سيويه - كتاب سيويه جـ ٤ ص ١٥٥.

(٦٤) سورة البقرة آية ٣٨. من قوله تعالى (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

(٦٥) ابن جني : المحتسب جـ ١ ص ٧٦.

وانظر : أبوحيان - البحر المحيط جـ ١ ص ١٦٩.

الرفع ولو كانت ألف عصا ونحوها علماً للرفع لم يجر فيها عسي»^(٦٦).

وقرأ ابنُ أبي اسحاق وفقاً لهذه اللغة (يا بُشري) ^(٦٧) قال ابن جني : «ومن ذلك قراءةُ أبي طفيل والجحدري وابنِ أبي اسحاق ورويت عن الحسنِ : يا بُشري . . . ونظائره كثيرة جداً»^(٦٨).

وقرأ وفقاً لها أيضاً (ومحبي ومماتي) ^(٦٩) قال أبو حيان : وقرأ ابنُ أبي اسحاق وعيسي وعاصمُ الجحدري (ومحبي ومماتي) بالإدغامِ وهذا وجهٌ جيد في العربية لما كانت الياءُ يُغَيَّرُ ما قبلها بالكسر»^(٧٠).

ومما قرأه على لغات القبائل قراءته على لغة سُفلى مُضَر (يُرُوون) بالتشديد، قال ابنُ النحاس : «وقرأ ابنُ أبي اسحاق . . . (يُرُوون الناس)»^(٧١) على وزن (يُدْعُون)^(٧٢) وحكى أنها لغة سُفلى مُضَر، والقراءةُ الأولى أولى لإجماعهم على (الذين يراءون)^(٧٣)، ويقال فلانُ مرأى، ومثل ذلك (رئاء الناس)^(٧٤)»^(٧٥).

وقرأ على لغة بعض أهل نجد (وينعه) بضم الياء، قال ابنُ النحاس «وقرأ ابنُ محيصن وابنُ أبي اسحاق (ينعه)^(٧٦) بضم الياء، قال القراء : الضمُّ لغةٌ بعض أهل نجد»^(٧٧).

وقرأ على لغة أهل الحجاز (وعلم أن فيكم ضعفاً)^(٧٨) بضم الضاد : قال أبو حيان : «وقرأ الحرميان . . . وابنُ أبي اسحاق (ضعفاً) . . . بضم الضاد وسكون العين . . . وعن أبي عمرو بن العلاء بضم الضاد لغة الحجاز وفتحها لغة تميم»^(٧٩).

(٦٦) ابن جني : المحتسب ج١ ص ٧٦.

(٦٧) سورة يوسف آية ١٩.

(٦٨) ابن جني : المحتسب ج١ ص ٣٣٦.

(٦٩) سورة الأنعام آية ١٦٢.

(٧٠) أبو حيان : البحر المحيط ج١ ص ٥٩٦.

(٧١) سورة النساء آية ١٤٢.

(٧٢) سورة الطور آية ١٣.

(٧٣) سورة الماعون : آية ٦ - (الذين هم يراءون).

(٧٤) سورة البقرة آية ٢٦٤.

(٧٥) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص ٤٦٣.

(٧٦) سورة الأنعام آية ٩٩ - من الآية (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه).

(٧٧) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص ٥٧٠.

(٧٨) سورة الأنفال آية ٦٦.

(٧٩) أبو حيان : البحر المحيط ج٤ ص ٥١٧.

وقرأ على لغة بكر وتميم (وطور سينين) ^(٨٠) بفتح السين، قال أبوحيان : «وقرأ الجمهور (سينين) وابن أبي اسحاق . . . بفتح السين، وهي لغة بكر وتميم» ^(٨١).

وقرأ (بين المُرءِ وزوجِه) ^(٨٢) بضم الميم وسكون الراءِ والهمزِ على لغةٍ من لغاتِ هذا اللفظ، قال ابن جني : « . . . ومن ذلك قرأ الحسنُ وقتادةُ (بين المَرِّ وزوجِه) بفتح الميم وكسر الراءِ خفيفةً من غير همزٍ . . . وقراءةُ ابن أبي اسحاقَ (المُرءِ) بضم الميم وسكون الراءِ والهمزِ . . . وأما قراءةُ ابن أبي اسحاقَ (المُرءِ) بضم الميم والهمزِ فلغةٌ فيه» ^(٨٣).

ج - الدلالة المعنوية :

والأصلُ أن يكون للدلالة المعنوية أثرٌ في كلِّ قراءةٍ تُقرأ، ولا بد لمن يقرأ من أن يكون عالماً باللغة والفروقِ الدلاليةِ وهكذا كان ابن أبي اسحاق :-

فقد قرأ قوله تعالى (إثم كبير) بالباء حملاً على أن شربَ الخمرِ من الكبائرِ فيجب أن يوصفَ الاثمُ بالكِبَرِ بينما قرأه آخرون بالثاء حملاً على أن الخمرَ تحدثُ مع شربها آثامٌ كثيرةٌ، وقد وضَّح مكي بن أبي طالب فقال : «قوله (إثم كبير) ^(٨٤) قرأه حمزة والكسائي بالثاء جعلاه من الكثرة حملاً على المعنى، وذلك أن الخمرَ تحدثُ مع شربها آثامٌ كثيرةٌ من لَعَطٍ وتخليطٍ وسبٍ وأيمانٍ . . . فوجبَ أن توصفَ بالكثرة، وقد قال بعد ذلك (ومنافع للناس) فجمع المنافع وكذلك يجب أن تكون الآثامُ جمعاً والجمعُ يوصفُ بالكثرة . . . وقرأ الباقرُ بالباءِ من «الكبر» على معنى العِظَمِ أي فيها أثرٌ عظيمٌ ويقوي ذلك إجماعهم على قوله (واثمها أكبرُ من نفعها) ^(٨٥) بالباءِ من العِظَمِ وقد أجمعوا على أن شربَ الخمرِ من الكبائرِ فوجبَ أن يوصفَ اثمُهُ بالكبر، وقد وصفَ الله الشركَ بالعِظَمِ فقال (إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ) ^(٨٦) فكذلك ينبغي أن يوصفَ ما قُرِبَ من الشركِ بالعِظَمِ وهو شربُ الخمرِ لأنها كبائرٌ، والعِظَمُ والكبائرُ سواءٌ . . . وبه قرأ الحسنُ . . . وابنُ

(٨٠) سورة التين آية ٢.

(٨١) أبوحيان : البحر المحيط ج ٨ ص ٤٨٩.

(٨٢) سورة البقرة آية ١٠٢.

(٨٣) ابن جني : المحتسب ج ١ ص ١٠١.

(٨٤) سورة البقرة آية ٢١٩.

(٨٥) سورة البقرة آية ٢١٩.

(٨٦) سورة لقمان آية ١٣.

أبي اسحاق وعليه العامة» (٨٧).

وقرأ قوله تعالى (فاتخذتموهم سخرياً) (٨٨) بضم السين على معنى التخديم والسُّخْرِ قال أبوحيان : «وقال أبو عبيدة والكسائي والفراء بضم السين من السُّخْرَةِ والاستخدام ، والكسر من السُّخْر وهو الاستهزاء وقال يونس : إذا أريد التخديم فضم السين لا غير وإذا الهزء فالضم والكسر . قال ابن عطية : وقرأ أصحابُ عبد الله وابنُ أبي اسحاق والأعرج بضم السين كل ما في القرآن ، وقرأ الحسنُ وأبو عمرو بالكسر إلا التي في الزخرف فإنها ضمًا السين كما فعل الناس» (٨٩).

وقرأ قوله تعالى (ولتكملوا) (٩٠) بتشديد الميم على معنى التأكيد والتكرير قال مكِّي بن أبي طالب : «قوله (ولتكملوا) قرأه أبو بكر مشدداً مفتوح الكاف وقرأه الباقر مخففاً ساكن الكاف وهما لغتان : أكملت العدد وكملته ، . . . ويقوي التشديد أن فيه معنى التأكيد والتكرير وبه قرأ الحسن . . . وابنُ أبي اسحاق والجحدري وغيرهم» (٩١).

وقرأ قوله تعالى (قال أعلم) (٩٢) بقطع الهمزة على معنى الإخبار عن النفس قال مكِّي بن أبي طالب : «قوله (قال أعلم) قرأه حمزة والكسائي بوصل الألف والجزم وقرأه الباقر بقطع الألف والرفع . وحجة من قرأ بالقطع أنه أخبر عن نفسه عندما عاين من قدرة الله في إحيائه الموتى فتعين ذلك بالمشاهدة فأقر أنه يعلم أن الله على كل شيء قدير ، أي أعلم أنا هذا الضرب من العلم لم أكن أعلمه معاينةً وبه قرأ الحسن . . . وابنُ أبي اسحاق . . . وحجة من قرأ بوصل الألف أنه جعلها أمراً معناه الخبر وذلك أنه لما عاين الأحياء وتيقن أنزل نفسه منزلة غيره فخطبها كما يخاطب غيره ، فقال : اعلم يا نفس هذا علم اليقين ، وهو جائز حسن» (٩٣).

د - الدلالة النحوية :

فقد كان للمفاهيم النحوية أثرٌ في قراءته ، ومن هنا يختلفُ النحويُّ القاريُّ عن غيره إذ يبدو لعلم النحو عنده أثرٌ واسعٌ في قراءاته :-

(٨٧) مكِّي بن أبي طالب - الكشف عن وجوه القراءات ج١ ص ٢٩١ .

(٨٨) سورة المؤمنون آية ١١٠ .

(٨٩) أبوحيان : البحر المحيط ج٦ ص ٤٢٣ ، والقرطبي : تفسير القرطبي ج١٢ ص ١٥٤ .

(٩٠) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٩١) مكِّي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات ج١ ص ٢٨٣ .

(٩٢) سورة البقرة آية ٢٥٩ .

(٩٣) مكِّي بن أبي طالب - الكشف عن وجوه القراءات ج١ ص ٣١٢ .

فقد قرأ قوله تعالى (ليس البر) ^(٩٤) بالرفع انطلاقاً من المفهوم النحوي القائل : أن اسم «ليس» كالفاعل ورتبه الفاعل أن يلي الفعل. وقد وضع مكي بن أبي طالب المفهوم النحوي في القراءتين قراءة الرفع وقراءة النصب قال : «قوله (ليس البر) قراءة حمزة وحفص بالنصب، وقرأه الباقر بالرفع، ووجه القراءة بالنصب أن «ليس» من أخوات كان يقع بعدها المعرفتان فتجعل أيهما شئت الاسم والآخر الخبر، فلما وقع بعد (ليس) (البر) وهو معرفة، و (أن تولوا) معرفة لأنه مصدر بتقدير توليتكم جعل (البر) الخبر فنصبه، وجعل (أن تولوا) الاسم فقدر رفعه وكان المصدر أولى بأن يكون اسماً لأنه لا يتنكر.

ووجه القراءة بالرفع أن اسم «ليس» كالفاعل، ورتبه الفاعل أن يلي الفعل، فلما ولي (البر) (ليس) رُفع، ولو نُصب (البر) لوجب أن يكون الكلام غير رتبته، وأن ينوي بـ (البر) التأخير فيكون الكلام على رتبته التي أتت به التلاوة أولى من أن يحدث فيه ما يحتاج معه إلى التقديم والتأخير ويقوي رفعه، رفع (البر) الثاني الذي معه الباء إجماعاً في قوله (وليس البر بأن تأتوا) ^(٩٥) ولا يجوز فيه إلا رفع (البر) وهو الاختيار لإجماع القراء عليه ولأنه رتبة الكلام وبه قرأ الحسن . . . وابن أبي اسحاق . . .» ^(٩٦).

وقرأ قوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق) ^(٩٧) بالفتح في اللفظين على فهم أن «لا» للنفي العام، وأنها لا النافية للجنس لا النافية للوحدة، قال مكي يوضح ذلك : «قوله (فلا رفث ولا فسوق) قرأهما ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين والرفع وقرأ الباقر بالفتح من غير تنوين . . . ووجه القراءة بالرفع والتنوين أن «لا» بمعنى «ليس» فارتفع الاسم بعدها لأنه اسمها والخبر محذوف تقديره بـ : فليس رفث ولا فسوق في الحج . . . ووجه القراءة بالفتح من غير تنوين أنه أتى بـ «لا» للنفي لتدل على النفي العام فنفي جميع الرفث وجميع الفسوق كما تقول : لا رجل في الدار فتنفي جميع الرجال، والمقصود في الآية : نفي جميع الرفث والفسوق فكان الفتح أولى به لتضمينه لعموم الرفث كله . . . وبه قرأ الأعرج . . . والحسن وابن أبي اسحاق» ^(٩٨).

(٩٤) سورة البقرة آية ١٧٧.

(٩٥) سورة البقرة آية ١٨٩.

(٩٦) مكي بن أبي طالب - الكشف عن وجوه القراءات ج١ ص ٢٨٠.

(٩٧) سورة البقرة آية ١٩٧.

(٩٨) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات ج١ ص ٢٨٥.

وقرأ قوله تعالى (حتى يقول الرسول)^(٩٩) بنصب الفعل على أن «حتى» جعلت للغة بمعنى «إلى أن»، قال مكي : «قوله (حتى يقول الرسول) . . . قرأه نافع بالرفع وقرأه الباقون بالنصب ووجه القراءة بالرفع أن الفعل دال على الحال التي كان عليها الرسول، ولا تعمل «حتى» في حال، فلما كان ما بعدها للحال لم تعمل فيه . . . ووجه القراءة بالنصب أن «حتى» جعلت غاية للزلة فنصبت بمعنى «إلى أن» والتقدير : وزلزلوا إلى أن قال الرسول : فجعل «قول الرسول» غاية لخوف أصحابه أي : لم يزالوا خائفين إلى أن قال الرسول، فالفعلان قد مضيا جميعاً، ويُنصب بـ «حتى» في الكلام بمعنى «كي» كقولك : أسلمت حتى أدخل الجنة، فالإسلام كان والدخول لم يكن . . . وبالرفع قرأ الأعرج ومجاهد وبالنصب قرأ الحسن . . . وابن أبي اسحاق، وهو الاختيار لأن عليه جماعة القراء»^(١٠٠).

وقال ابن النحاس يوضح قراءة النصب : «ومذهب سيويه في «حتى» أن النصب في ما بعدها في جهتين : تقول سرت حتى أدخلها على أن السير والدخول جميعاً قد مضيا أي : سرت إلى أن أدخلها، وهذا غاية، وعليه قراءة من قرأ بالنصب، والوجه الآخر في النصب في غير الآية سرت حتى أدخلها أي : كي أدخلها»^(١٠١).

وقرأ ابن أبي اسحاق قوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)^(١٠٢) برفع (العفو) على أنه خبرٌ لمحذوف. قال ابن النحاس : «وقرأ أبو عمرو وعيسى بن عمر وابن أبي اسحاق (قل العفو) بالرفع، قال أبو جعفر : ان جعلت «إذا» بمعنى «الذي» كان الاختيار الرفع وجائز النصب، وإن جعلت «ماذا» شيئاً واحداً كان الاختيار النصب وجاز الرفع، وحكى النحويون : ماذا تعلمت أنحواً أم شعراً؟ بالنصب والرفع على أنها جيدان حسنان إلا أن التفسير في الآية يدل على النصب»^(١٠٣).

وقرأ قوله تعالى (أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا)^(١٠٤) يجر (النار) على البدل، وقرأها آخرون بالرفع على إضمار مبتدأ قال أبو حيان : «وقرأ

(٩٩) سورة البقرة آية ٢١٤ .

(١٠٠) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات ج١ ص ٢٩٠ .

(١٠١) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص ٢٥٥ .

(١٠٢) سورة البقرة آية ٢١٩ .

(١٠٣) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص ٢٦٠ .

(١٠٤) سورة الحج آية ٧٢ .

الجمهور (النار) رفعا على إضمار مبتدأ، كأن قائلًا يقول : قال : وما هو؟ قال : النار، أي : نار جهنم . وأجاز الزمخشري أن تكون «النار» مبتدأ، ووعدها «الخبر» . . . وقرأ ابن أبي اسحاق . . . «النار» بالجر على البدل من «شر»^(١٠٥).

هـ - الآيات القرآنية :

وهي منبع «ثر» للقارئ لكي يسترفده ويترشد به دائماً وكلما عز عليه الدليل من الأدلة السابقة :

فقد كان ابن أبي اسحاق يقرأ (فأزلهما)^(١٠٦) بغير ألف وبالتشديد مستوحياً ذلك من آية عدة قال مكي : «قوله (فأزلهما) قرأ حمزة بألفٍ مخففةٍ وقرأه الباكون بغير ألفٍ مشدداً، وعلته من قرأ بالألف أنه جعله من الزوال وهو التنحية واتبع في ذلك مطابقة معنى ما قبله على الضد وذلك أنه قال تعالى ذكره لأدم (اسكن أنت وزوجك الجنة)^(١٠٧) فأمرهما بالثبات وضد الثبات الزوال . . . وعلته من قرأ بغير ألف الإجماع في قوله (إنما استزلهم الشيطان)^(١٠٨) أي أكسبهم الزلة فليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان، إنما قدرته على إدخال الإنسان في الزلل فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبيه، ويقوي ذلك أنه قال في موضع آخر (فوسوس لهما الشيطان)^(١٠٩) والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزلل بالمعصية وهي الزلة لا الزوال، وأيضاً فإنه قد يحتمل أن يكون معنى (فأزلهما) من زل عن المكان إذا تنحى عنه فيكون في المعنى كقراءة من قرأ من الزوال . والاختيار القراءة بغير ألف لما ذكرنا من العلة ولأنه قد يكون بمعنى «فأزلهما» فيتفق معنى القرائتين، ولأنه إجماع من القراء غير حمزة ولأنه مروى عن ابن عباس وبه قرأ أبو جعفر يزيد . . . وابن أبي اسحاق^(١١٠).

وقرأ قوله تعالى (أورد) بنصب الدال مستوحياً الآية التي قبلها . قال ابن جني : «ومن ذلك قراءة ابن أبي اسحاق (أورد) بنصب الدال، قال أبو الفتح : الذي قبله مما هو متعلق به قوله (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)^(١١١) ثم قال (أورد) فنعمل غير

(١٠٥) أبوحيان : البحر المحيط ج ٦ ص ٣٨٩ .

(١٠٦) سورة البقرة آية ٣٦ .

(١٠٧) سورة البقرة آية ٣٥ .

(١٠٨) سورة آل عمران آية ١٥٥ .

(١٠٩) سورة الأعراف آية ٢٠ .

(١١٠) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات ج ١ ص ٢٣٥ .

(١١١) سورة الأعراف آية ٥٣ .

الذي كنا نعمل^(١١٢) فعطف (نرد) على (يشفعوا) وهو منصوب لأنه جواب الاستفهام وفيه معنى التمني ، وذلك أنهم قد علموا أنه لا شفيع لهم ، وإنما يتمنون أن يكون لهم هناك شفعاء فيردوا بشفاعتهم فيعملوا ما كانوا لا يعملونه من الطاعة فيصير به المعنى إلى أنه كأنهم قالوا : إن نرزق شفعاء يشفعوا لنا أو نردد . وتقديره على رفع «نرد» على قراءة الجماعة : نرزق شفعاء يشفعوا لنا أو نرد نعمل غير الذي كنا نعمل وذلك أنهم مع نصب «نرد» تمنوا الشفعاء وقطعوا بالشفاعة وتمنوا الرد أيضاً وضمنوا عمل ما لم يكونوا يعملونه أي : إن نردد نعمل غير الذي كنا نعمل ، كأنه قال : أو هل فنعمل^(١١٣) .

ملاحق قراءة ابن أبي اسحاق :-

وفي قراءة ابن أبي اسحاق ملاحق واضحة تُبتدى لمن يعنى النظر فيها ، قد يشاركه في بعضها غيره من القراء إلا أنها تبقى علامات تشير إلى الخط الذي نهجه وسار عليه ومن هذه الملاحق : أنه انفرد بقراءات وخالف الجمهور ، وخالف الرسم ، وكان يميل إلى عدم حذف الياء الأخيرة ، وإلى البناء للمعلوم ، وإلى النصب ، وإلى فتح همزة أن ، وإلى تحريك الوسط ، وإلى التقدير ، وإلى قراءة اللفظ الواحد قرائتين وأكثر .

أ - انفراده :-

فقد انفرد بقراءة قوله تعالى (نون والقلم)^(١١٤) بكسر النون ، وقراءته هذه من ست قراءات لهذه اللفظ ، قال ابن النحاس : «قرأ أكثر الناس (نون والقلم) ببيان نون ، وقرىء بخفائها ، وقرىء بإدغامها بغير غنة ، وبغير غنة وروي عن عيسى بن عمر أنه قرأ (نون والقلم) وقرأ ابن أبي اسحق (نون والقلم) بالخفض ، فهذه ست قراءات ، ... ومن قرأ (نون والقلم) كسر لالتقاء الساكنين^(١١٥) .

وانفرد فقرأ (يا بشرى هذا غلام)^(١١٦) قال ابن النحاس : «إلا أن ابن أبي اسحاق قرأ (يا بشرى هذا غلام) فقلب الألف ياء لأن الياء يُكسر ما قبلها فلما لم يجوز كسر الألف كان قبلها عوضاً^(١١٧) .

(١١٢) سورة الأعراف آية ٥٣ .

(١١٣) ابن جني : المحتسب ج١ ص ٢٥١ .

(١١٤) سورة نون آية ١ .

(١١٥) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٣ ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(١١٦) سورة يوسف آية ١٩ .

(١١٧) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٢ ص ١٣٠ .

وانفرد بقراءة قوله تعالى (وقالت هَيْتَ لَكَ) (١١٨) بفتح الهاء وكسر التاء قال ابن النحاس : «فيها سبعُ قراءات . . . وقرأ ابنُ أبي اسحاقَ النحويُّ (وقالت هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء وكسر التاء» (١١٩).

وقد سبق في هذا البحث أن ابن أبي اسحاق كان يقرأ (المَرءِ) بضم الميم وسكون الراء والهمز وهي لغة في «المَرءِ» من عدة لغات أُشرت إليها.

ب - مخالفة الجمهور :-

فقد قرأ (البُذْنُ) في قوله تعالى (ومما رزقناهم يُنفقون والبُذْنُ) جعلناها لكم) (١٢٠) بضم الباء والبدال وتشديد النون مخالفاً للجمهور. قال أبو حيان : «وقرأ الجمهورُ (البُذْنُ) بإسكان الدال، وقرأ الحسنُ وابن أبي اسحاقَ بضمها وهي الأصل» (١٢١).

وقرأ (قاف) في قوله تعالى (قافٍ والقرآنِ المجيدِ) (١٢٢) بكسر الفاء ومخالفاً للجمهور، قال أبو حيان «وقرأ الجمهورُ (قاف) الفاء . . . وبكسرها الحسنُ وابن أبي اسحاقَ . . . والأصلُ في حروف المعجمِ إذا لم تتركب مع عاملٍ أن تكونَ موقوفةً . . . ومن كَسَرَ فعلى أصلِ التقاء الساكنين» (١٢٣).

وقرأ (أتينا) في قوله تعالى (وان كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها) (١٢٤) بعد الهمزة على وزنِ فاعلنا مخالفاً للجمهور وقال أبو حيان : «وقرأ الجمهورُ (أتينا) من الاتيان، أي جئنا بها . . . وقرأ ابنُ عباسٍ ومجاهد . . . وابنُ أبي اسحاقَ . . . (أتينا) بمدّه على وزنِ فاعلنا من المواتاة وهي المجازاة والمكافأة فمعناه : جازينا بها، ولذلك تعدى بحرف جر ولو كان على أفعلنا من الاتيان بالمد على ما توهمه بعضهم لتعدى مطلقاً دونَ جارٍ» (١٢٥).

(١١٨) سورة يوسف آية ٢٣.

(١١٩) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٢ ص ١٣٣.

(١٢٠) سورة الحج آية ٣٥، ٣٦.

(١٢١) أبو حيان : البحر المحيط ج٦ ص ٣٦٩.

(١٢٢) سورة قاف آية ١.

(١٢٣) أبو حيان : البحر المحيط ج٨ ص ١٢٠.

(١٢٤) سورة الأنبياء آية ٤٧.

(١٢٥) أبو حيان : البحر المحيط ج٦ ص ٣١٦.

وشواهدُ مخالفةِ الجمهورِ كثيرةٌ ولكنه لم يخالف منفرداً وإنما كانت مخالفته في معظمها مع قراءٍ آخرين كثير.

جـ - مخالفة رسم القرآن :-

ومخالفة الرسم إما في زيادة حرف أو إنقاص حرف أو حرفين أو في قراءة تؤدي إلى كتابة الكلمة على غير ما هي مكتوبة عليه .

فقد قرأ (أولا يضارر) بكسر الراء الأولى وتسكين الثانية وهي في القرآن (ولا يضارر)^(١٢٦) براءٍ واحدة، قال ابن النحاس : «وقرأ ابن مسعود (ولا يضارر) بفتح الراء الأولى وهاتان القراءتان على التفسير ولا يجوز أن تخالف التلاوة التي في الصحف»^(١٢٧).

وقرأ (مالي) و (سلطاني) بدون هاء في الوصل في قوله تعالى (ما أغنى عني ماليه، هللك عني سلطانيه)^(١٢٨) فيكون حذف الهاء مخالفاً لخط المصحف بينما قرأ الجمهور مثبثاً الهاء في الوصل والوقف مراعاةً لخط المصحف، قال أبو حيان «وقرأ الجمهور كتابيه»^(١٢٩) و (حسابيه)^(١٣٠) في موضعيهما و «ماليه» و «سلطانيه» وفي القارعة (ماهيه)^(١٣١) بإثبات هاء السكت وقفاً ووصلاً لمراعاة خط المصحف، وقرأ ابن محيصن بحذفها وصلاً ووقفاً وإسكان الياء وذلك : كتابي وحسابي ومالي وسلطاني . . . وابن أبي اسحاق والأعمش بطرح الهاء فيهما في الوصل لا في الوقف وفتح الياء فيهن»^(١٣٢).

وقرأ (فله جزاء حسني) بحذف (أل) التعريف في «الحسني» المكتوبة في المصحف قال ابن النحاس : «(فله جزاء الحسني)^(١٣٣) قراءة أهل المدينة . . . وقرأ سائر الكوفيين (فله جزاء الحسني) وقرأ ابن أبي اسحاق (فله جزاء حسني) وعن ابن عباس

(١٢٦) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(١٢٧) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص ٣٠١ .

(١٢٨) سورة الحاقة آية ٢٨ ، ٢٩ .

(١٢٩) سورة الحاقة آية ٢٦ .

(١٣٠) سورة الحاقة آية ٢٦ .

(١٣١) سورة القارعة آية ١٠ .

(١٣٢) أبو حيان : البحر المحيط ج٨ ص ٣٢٥ .

(١٣٣) سورة الكهف آية ٢٨ .

... (فله جزاءً الحسنى) منصوباً غير منون ... والقراءة الثالثة فيها ثلاثة أقوال، قال الفراء: «جزاء منصوبٌ على التمييز، والقول الثاني: أن يكون مصدراً، وقال أبو اسحاق: هو مصدرٌ في موضع الحال، أي مجزياً جزاءً» (١٣٤).

وقرأ (وشركاؤكم) في قوله تعالى (أجمعوا أمركم وشركاءكم) (١٣٥) بضم الهمزة لتكتب على واو وهذا يخالف ما هي عليه في المصحف قال ابن النحاس: «وقرأ الحسن وابن اسحاق ... (فأجمعوا أمركم وشركاؤكم) بقطع الألف ورفع الشركاء ... والقراءة الثالثة (١٣٦) على أن يعطف الشركاء على المضمر المرفوع وحسن العطف على المضمر المرفوع لأن الكلام قد طال، وهذه القراءة تبعُدُ لأن لو كان مرفوعاً لوجب أن يكتب بالواو، وأيضاً فإن (شركاءكم) الأصنام والأصنام لا تصنع شيئاً» (١٣٧).

د - تعدد القراءات للفظ الواحد :

وهذه ظاهرة لافتة انتباه الباحث وهي ظاهرة بيّنة جلية تتبعه أبوحيان فيها وأثبت أنه قرأ اللفظ الواحد قراءتين وثلاث قراءات وفي أحيان أخرى أكثر من ثلاث قراءات. فمن القراءتين أنه قرأ (متاع) في قوله تعالى (إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) (١٣٨) بالنصب على أنه مصدرٌ في موضع الحال ... وبإضافة الحياة إليه، وقرأه (متاعاً) بالتنوين، ونصب (الحياة) قال أبوحيان: «... انتصب (متاع) في قراءة زيد بن علي ... وابن أبي اسحاق ... على أنه مصدرٌ في موضع الحال أي: متمتعين، أو باقياً على المصدرية، أي: يتمتعون به متاعاً، أو نصباً على الظرف نحو: مقدم الحاج، أي وقت متاع الدنيا ... وقرأ ابن أبي اسحاق (متاعاً الحياة الدنيا) بنصب (متاع) وتنوينه ونصب (الحياة)» (١٣٩).

(١٣٤) ابن النحاس: إعراب القرآن ج٢ ص ٢٩٢.

(١٣٥) سورة يونس آية ٧١.

(١٣٦) الاشارة هنا إلى قراءة ابن أبي اسحاق.

(١٣٧) ابن النحاس: إعراب القرآن ج٢ ص ٦٧.

وانظر هذه القراءة في:

أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء - (ت ٢٠٧هـ) - معاني القرآن - ٣م - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٠م، ج١ ص ٤٧٣.

(١٣٨) سورة يونس آية ٢٣.

(١٣٩) أبوحيان: البحر المحيط ج٥ ص ١٤٠.

وقرأ (عصاي) في قوله تعالى (قال هي عصاي) (١٤٠) بقلب الألف ياء، وإدغامها في ياء المتكلم، وقرأها بإثبات الألف وسكون الياء قال أبو حيان: «وقرأ ابنُ أبي اسحاق... (عصي) بقلب الألف ياءً وإدغامها في ياء المتكلم... وعن ابن أبي اسحاق... عصاي بسكون الياء» (١٤١).

وقرأ (يرجعون) في قوله تعالى (وإلينا يُرجعون) (١٤٢) بالياء مبنياً للفاعل، وقرأها بالتاء، قال أبو حيان: «وقرأ السلمي وابن أبي اسحاق... بالياء من تحت مبنياً للفاعل، وحكى عنهم الداني بالتاء» (١٤٣).

وقرأ (البدن) في قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم) (١٤٤) بضم الدال، وبضم الباء والدال وتشديد النون قال أبو حيان: «وقرأ الجمهور (والبدن) بإسكان الدال، وقرأ الحسن ابن أبي اسحاق... بضمها وهي الأصل... وقرأ ابن أبي اسحاق أيضاً بضم الباء والدال وتشديد النون» (١٤٥).

ومن ثلاثِ القراءاتِ أنه قرأ (يشنون) في قوله تعالى (ألا إنهم يشنون صدورهم) (١٤٦) بالتاء مضارع «أثنوني» وقرأها بالياء وقرأها «يشنون» بتقديم النون على التاء قال أبو حيان: «وابن أبي اسحاق «تثنوني» بالتاء مضارع أثنوني على وزن افعوعل... وقرأ ابنُ عباس وابنُ أبي اسحاق «يشنوني» بالياء «صدورهم» بالرفع... وقرأ ابنُ يعمر وابنُ أبي اسحاق «يشنون» بتقديم النون على التاء» (١٤٧).

ومما قرأه أكثر من ثلاثِ قراءاتِ (نحاس) في قوله تعالى (يُرسلُ عليكما شواظ من نارٍ ونحاسٍ فلا تتصران) (١٤٨) فقد قرأها (نحاس) بالجر، وقرأها (نحاس) من يوم نحس، وقرأها (نحس) مضارع حس وبالحركات الثلاث في الحاء، قال أبو حيان: «والجمهور و(نحاس) بالرفع، وابنُ أبي اسحاق... بالجر... وابنُ أبي اسحاق أيضاً و(نحس) مضارعاً وماضيه حسه أي قتله أي ويحس بالعذاب، وعن ابن أبي اسحاق

(١٤٠) سورة طه آية ١٨.

(١٤١) أبو حيان: البحر المحيط ج٦ ص ٢٣٤.

(١٤٢) سورة مريم آية ٤٠.

(١٤٣) أبو حيان: البحر المحيط ج٦ ص ١٩١.

(١٤٤) سورة الحج آية ٣٥، ٣٦.

(١٤٥) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص ١٤٠.

(١٤٦) سورة هود آية ٥.

(١٤٧) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص ٢٠٢.

(١٤٨) سورة الرحمن آية ٣٥.

أيضاً و(نَجِسُ) بالحركات الثلاثِ في الحاءِ على التخيير^(١٤٩).

هـ - إثباتُ ياءِ المفعولِ في رؤوسِ الآياتِ بعد نونِ الوقايةِ :

فقد كان يثبت ياء المفعول في رؤوس الآيات بعد نون الوقاية والمألوف عند القراء حذفها في هذا الموضع وكسر نون الوقاية.

فقرأ (فارهبوني) في قوله تعالى (وإياي فارهبون)^(١٥٠) وقرأ (فاتقوني) في قوله تعالى (وإياي فاتقون)^(١٥١) بإثبات الياء فيهما، قال ابن النحاس : وإياي فارهبون) وقع الفعل على النون والياء وحذفت الياء لأنه رأس آية، وقرأ ابن أبي اسحاق (فارهبوني) بالياء وكذا (فاتقوني)^(١٥٢).

وقرأ (يهديني) في قوله تعالى (الذي خلقتني فهو يهدين)^(١٥٣) وقرأ (يسقيني) في قوله تعالى (والذي هو يطعمني ويسقيني)^(١٥٤) بإثبات الياء فيهما، قال ابن النحاس عن قراءة اللفظين المذكورين : «بغير ياء لأن الحذف في رؤوس الآيات حسن لتتفق كلها، وقد قرأ ابن أبي اسحاق على جلالته ومحله من العربية هذه كلها بالياء لأن الياء إسم وإنما دخلت النون لعلّة»^(١٥٥).

و - بناء مضارع «رجع» إلى المعلوم :-

فقد كان يميل إلى بناء مضارع الفعل «رجع» إلى المعلوم، فقد قرأ (يرجعون) في قوله تعالى (ويوم يُرْجَعُونَ إليه)^(١٥٦) مبنياً للمعلوم قال أبوحيان : «وقرأ الجمهور (يُرْجَعُونَ) مبنياً للمفعول وقرأ ابنُ يعمر وابنُ أبي اسحاق وأبو عمرو مبنياً للفاعل»^(١٥٧).

(١٤٩) أبوحيان : البحر المحيط ج٨ ص١٩٥.

(١٥٠) سورة البقرة آية ٤٠.

(١٥١) سورة البقرة آية ٤١، سورة المؤمنون آية ٥٢، سورة الزمر آية ١٦.

(١٥٢) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص١٦٧.

(١٥٣) سورة الشعراء آية ٧٨.

(١٥٤) سورة الشعراء آية ٧٩.

(١٥٥) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٢ ص٤٩٢.

(١٥٦) سورة النور آية ٦٤.

(١٥٧) أبوحيان : البحر المحيط ج٤ ص٤٧٧.

وقرأ كذلك (يُرْجَعُونَ) في قوله تعالى (والينا يُرْجَعُونَ) (١٥٨) قال أبوحيان : وقرأ الجمهور (يُرْجَعُونَ) بالياء من تحت مبنياً للمفعول . . . وقرأ السلمي وابنُ أبي اسحاق وعيسى بالياء من تحت مبنياً للفاعل» (١٥٩).

وقرأ (تُرْجَع) في قوله تعالى (وإلى الله تُرْجَعُ الأمور) (١٦٠)، قال أبوحيان : «وقرأ الجمهور (تُرْجَع) مبنياً للمفعول والحسنُ وابنُ أبي اسحاق . . . مبنياً للفاعل» (١٦١).

وقرأ (تَرَجَعُونَ) في قوله تعالى (ثم يُمَيِّتُكُمْ ثم يُحْيِيكُمْ ثم إليه تَرَجَعُونَ) (١٦٢) قال أبوحيان : «وقرأ مجاهد . . . وابنُ أبي اسحاق . . . مبنياً للفاعل حيث وقع في القرآن من رَجَعَ اللازم لأنَّ رَجَعَ يكون لازماً ومتعدياً» (١٦٣).

ز - الفَزَعُ إلى النصب :-

فقد كان يفزَعُ إلى نصبِ اللفظِ ويختاره على الرفعِ أو الجرِّ ما دام التوجيهُ يقبلُهُ .

فقد قرأ ونصب (سلاماً) في قوله تعالى (سلامٌ قولاً) (١٦٤) قال الأخفش الأوسط : «وقرأه ابن مسعود (سلاماً) وعيسى وابن أبي اسحاق كذلك نصبوها على خبر المعرفة قوله (ولهم ما يدعون)» (١٦٥) (١٦٦).

ونصب (يضاعفه) في قوله تعالى (يضاعفه له) (١٦٧) قال ابن النحاس «وقرأ ابن أبي اسحاق والأعرجُ (يضاعفه له) نصباً . . . والنصب على جواب الاستفهام» (١٦٨).

- (١٥٨) سورة مريم آية ٤٠ .
 (١٥٩) أبوحيان : البحر المحيط ج٦ ص ١٩١ .
 (١٦٠) سورة الحديد آية ٥ .
 (١٦١) أبوحيان : البحر المحيط ج٨ ص ١٩٥ .
 (١٦٢) سورة البقرة آية ٢٨ .
 (١٦٣) أبوحيان : البحر المحيط ج١ ص ١٣٢ .
 (١٦٤) سورة يس آية ٥٨ .
 (١٦٥) سورة يس آية ٥٧ .
 (١٦٦) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) - معاني القرآن - ج٢ - تحقيق الدكتور فائز فارس - الطبعة الثانية - ١٩٨١م - ج٢ ص ٤٥٠ .
 (١٦٧) سورة البقرة آية ٢٤٥ . قال تعالى (من ذا الذي يُقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) .
 (١٦٨) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص ٢٧٦ .

ونصب (يقول) في قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا)^(١٦٩) قال ابن النحاس : «وقرأ أبو عمرو وابن أبي اسحاق (ويقول الذين آمنوا) بالواو والنصب عطفاً على (أن يأتي)»^(١٧٠) عند أكثر النحويين»^(١٧١).

ونصب (خوف) في قوله تعالى (فلا خوف عليهم)^(١٧٢) قال ابن النحاس : «وقرأ الحسن وعيسى وابن أبي اسحاق (فلا خوف عليهم) والاختيار عند النحويين الرفع والتنوين لأن الثاني معرفة لا يكون فيه إلا الرفع»^(١٧٣).

ونصب^(١٧٤) (يتوب) في قوله تعالى (ويتوب الله)^(١٧٥)، ونصب^(١٧٦) (نرد) في قوله تعالى (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد)^(١٧٧). ونصب^(١٧٨) (ثمود) في قوله تعالى (وأما ثمود فهديناهم)^(١٧٩).

ح - الميل إلى فتح همزة أن :-

فقد قرأ قوله تعالى (أنا دمّرناهم)^(١٨٠) بفتح همزة «أن» وقد زعم الفراء أن فتحها من جهتين، إحداهما : أن تردها على «كيف» والجهة الأخرى : أن تكسر عليها «كان» كأنك قلت : كان عاقبة أمرهم تدميرهم، وقد رأى ابن النحاس أن هذا التأويل فيه تعسف، وقال : إن في فتحها خمسة أوجه منها : أن يكون التقدير : لأنا دمّرناهم وتكون «أن» في موضع نصب، ويجوز أن تكون في موضع رفع بدلاً من عاقبة^(١٨١).

(١٦٩) سورة المائدة آية ٥٣.

(١٧٠) سورة المائدة آية ٥٣. قال تعالى (فمضى الله أن يأتي بالفتح ... ويقول الذين آمنوا).

(١٧١) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص ٥٠٣.

(١٧٢) سورة الأنعام آية ٤٨.

(١٧٣) ابن النحاس : إعراب القرآن ج١ ص ١٦٥.

(١٧٤) ابن جني : المحتسب ج١ ص ٢٨٤.

(١٧٥) سورة الأحزاب آية ٧٣.

(١٧٦) انظر : ابن جني - المحتسب ج١ ص ٢٥١.

(١٧٧) سورة الأعراف آية ٥٣.

(١٧٨) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٣ ص ١٢.

(١٧٩) سورة فصلت آية ١٧.

(١٨٠) سورة النمل آية ٥١. قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمّرناهم).

(١٨١) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٢ ص ٥٢٧.

وقرأ قوله تعالى (أَنَّ النَّاسَ) (١٨٢) بفتح الهمزة، وقرأ أهل الحرمين وأهل الشام وأهل البصرة بكسر الهمزة، قال الأخفش: المعنى بأن الناس. وقال أبو عبيد: موضعها نصبٌ بوقوع الفعل عليها أي: تخبرهم أن الناس. وقال الكسائي والفراء: بالكسر على الاستثناف، ورأى الأخفش أن الكسر بمعنى: تقول إنَّ الناس (١٨٣).

وقرأ قوله تعالى (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) (١٨٤) بفتح همزة (أَنَّ) عطفاً على اللفظ ومن قرأ (إِنَّ اللَّهَ) قدره بمعنى: قال ان الله (١٨٥).

وقرأ قوله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) (١٨٦) بفتح همزة «أَنَّ» وخرجت قراءة فتح الهمزة على وجوه أحدها: أن يكون تعليلاً حذفت منها اللام تقديره: ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، وقد قال الفارسي: قياس قول سيبويه في فتح الهمزة أن تكون الفاء زائدة بمنزلتها في: زيد فقام. وأما من قرأ بالكسر فعلى الاستثناف (١٨٧).

ط - الميل إلى تحريك عين الثلاثي:

فقد قرأ (وَزُلْفًا) (١٨٨) بضم الزاي واللام مع طلحة بن مصرف بينما قرأ ابن مجاهد وابن محيصن (وَزُلْفًا) بتسكين اللام، قال ابن جني: من قال (زُلْفًا) بضم الزاي واللام جميعاً فواحدته: زُلْفَةٌ، ومن قرأ (زُلْفًا) فواحدته زُلْفُهُ إلا أنه جمع الأجناس المخلوقات كبرة وبر ودرّة ودرّ والزُلْفَةُ: الطائفة من الليل (١٨٩).

وقرأ قوله تعالى (وَالْبُدُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ) (١٩٠) بضم الباء والداد، ورأى ابن النحاس أن «بُدُن» جمع الجمع أي بُدُنُهُ وِبِدَانٌ وِبُدُنٌ (١٩١).

(١٨٢) سورة النمل آية ٨٢. قال تعالى (وإذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابةً من الأرض تكلمهم أن الناس...).

(١٨٣) انظر: ابن النحاس - إعراب القرآن ج ٢ ص ٥٣٥.

(١٨٤) سورة التوبة آية ٣.

(١٨٥) انظر: ابن النحاس - إعراب القرآن ج ٢ ص ٤.

(١٨٦) سورة الأنعام آية ١٥٣.

(١٨٧) انظر: أبو حيان - البحر المحيط ج ٤ ص ٢٥٣.

(١٨٨) سورة هود آية ١١٤.

(١٨٩) انظر: ابن جني - المحتسب ج ١ ص ٣٣٠.

(١٩٠) سورة الحج آية ٣٦.

(١٩١) انظر: ابن النحاس - إعراب القرآن ج ٢ ص ٤٠٣.

أثر قراءته في الدرس اللغوي :-

لقد كان لقراءة ابن أبي اسحاق أثر واضح في الدرس اللغوي وبخاصة عند النحاة فكانوا يشيرون إليها ويناقشونها ويتخذون منها موقفاً سلباً كان أم إيجاباً الأمر الذي أغنى الدرس النحوي وأثار النحاة لبحث الكثير من القضايا اللغوية والنحوية ولكن ردودهم كانت تختلف من قراءة إلى قراءة وكان حكمهم متفاوتاً ومختلفاً، فهناك من جود بعض قراءاته واستحسنها وهناك من وقف عند بعض قراءاته موقف المتحفظ وأصدر أحكاماً سلبية، وهناك بعض من قراءاته حير النحاة فجعلهم يردون ردوداً مختلفة تصل أحياناً إلى درجة التناقض وذلك لاختلافهم في الفهم والتأويل .

أ - تجويد بعض قراءاته واستحسانها :-

فقد جود سيويه قراءة ابن أبي اسحاق قوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) برفع (نكفر) (١٩٢) على غيرها من القراءات لأن الفعل جاء بعد كلام مسبق بفاء الجزاء ولكن جرى وكأنه في غير الجزاء، قال سيويه : «تقول : إن تأتيني فهو خير لك وأكرمك، وإن تأتيني فأنا أتيك وأحسن إليك وقال عز وجل (وان تحفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم) (١٩٣) والرفع هنا وجه الكلام وهو الجيد لأن الكلام الذي بعد الفاء جرى مجراه في غير الجزاء فجرى الفعل هنا كما كان يجري في غير الجزاء» (١٩٤) . فسيويه يرى - وفق قوله هذا - أنك إذا عطفت فعلاً مضارعاً على جملة إسمية مقترنة بالفاء الواقعة في جواب الشرط كان رفع هذا الفعل ، أجود من نصبه أو جزمه .

وقد قوى ابن جني قراءة ابن أبي اسحاق قوله تعالى (يُرَاءُونَ النَّاسَ) (١٩٥) بغير ألفٍ وبتشديد الهمزة أي (يُرَعُونَ) قال : «ومن ذلك قراءة عبدالله بن أبي اسحاق . . . (يُرَعُونَ النَّاسَ) مثل يُرَعُونَ والهمزة بين الراء والواو من غير ألف . قال أبو الفتح : معناه : يُبْصِرُونَ النَّاسَ ويحملونهم على أن يروهم يفعلون ما يتعاطونه، وهي أقوى معنى من (يُرَاءُونَ) بالمد على يفاعلون لأن معنى (يراءونهم) يتعرضون لأن يروهم و(يرعونهم)

(١٩٢) انظر : المصدر نفسه ج١ ص ٢٩١ .

(١٩٣) سورة البقرة آية ٢٧١ .

(١٩٤) سيويه : الكتاب ج٣ ص ٩٠ .

(١٩٥) سورة النساء آية ١٤٢ .

يحملونهم على أن يروههم . قال أبوزيد : رأت المرأة الرجل إذا أمسكتها له ليرى وجهه» (١٩٦)

وحسن ابن جني قراءة ابن أبي اسحاق قوله تعالى (في يومٍ عاصفٍ) (١٩٧) بالاضافة أي (يومٍ عاصفٍ) قال : «ومن ذلك قراءة ابن أبي اسحاق . . . (في يومٍ عاصفٍ) بالاضافة» قال أبو الفتح : هذا على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أي : في يومٍ ريحٍ عاصفٍ ، وحسن حذف الموصوف هنا شيئاً لأنه قد أُلِفَ حذفه في قراءة الجماعة في (يومٍ عاصفٍ)» (١٩٨) .

ب - الطعن على بعض قراءاته :-

لقد وقف النحاة عند بعض قراءاته فطعنوا عليها ولكنهم استخدموا في هذا الطعن أحكاماً مختلفة متفاوتة حسب مقدار خروجها على القياس أو لغة العرب فاستخدموا لفظ «ردىء» «ضعيف» «ضعيف مردول» «غلط» «قبيح» «شاذ» «بعيد» «تعسف في المعنى» «أضعف من غيرها» .

فقد كان ابن أبي اسحاق يقرأ قوله تعالى (أنذرتهم) (١٩٩) ، (٢٠٠) بتحقيق الهمزتين بعد أن يضع ألفاً بينهما ، وكان سيويه يرى أن أجود القراءات هنا ما حَقَّقَ الأولى وخَفَّفَ الثانية وأنَّ تحقيق الهمزتين «ردىء» فقال : «وزعموا أن ابن أبي اسحاق كان يحقِّق الهمزتين وأناس معه وقد تتكلم ببعضه العرب وهو ردىء» (٢٠١) .

وكان يقرأ قوله تعالى (قل هو الله أحدُ الله الصمدُ) (٢٠٢) بحذف التنوين من (أحد) لالتقاء الساكنين (٢٠٣) أي (أحدُ الله) وكان يرى الفراء أن حذف التنوين ليس

(١٩٦) ابن جني : المحتسب ج٢ ص ٢٠٢ .

(١٩٧) سورة إبراهيم آية ١٨ .

(١٩٨) ابن جني : المحتسب ج١ ص ٣٦٠ .

(١٩٩) سورة البقرة آية ٦ .

(٢٠٠) انظر : ابن النحاس - إعراب القرآن ج١ ص ١٣٤ .

وانظر : موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي - (ت ٦٤٣هـ - ١٢٤٥م) شرح المفصل - ١٠ - إدارة الطباعة

المنيرية - مصر - ج١ ص ١٣٥ .

(٢٠١) سيويه - كتاب سيويه ج٤ ص ٤٤٢ .

(٢٠٢) سورة الصمد آية ١ ، ٢ .

(٢٠٣) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٣ ص ٧٨٨ .

بالوجه المقبول فيقول : «والذي قرأ (أحدُ الله الصمدُ) بحذف النون من (أحد) يقول : «النون نون الاعراب إذا استقبلتها الألف واللام حُذفت، وكذلك إذا استقبلها ساكنٌ فربما حُذفت وليس الوجه» (٢٠٤). أما ابنُ النحاس فكان يرى أن حذف التنوين قبيح ويقول : «والأجودُ تحريكُ التنوينِ لالتقاء الساكنين لأنه علامة فحذفه قبيحٌ وقراءة الجماعة أولى» (٢٠٥).

وكان يقرأ قوله تعالى (إنما كان قولُ المؤمنين) (٢٠٦) برفع (قول) على أنه إسمٌ كان وعلى أن خبرها المصدرُ المؤولُ في قوله تعالى (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) (٢٠٧) فكان ابنُ جني يرى أن نصب (قول) - وهو ما عليه الجماعة - أقوى من الرفع على أنه خبر كان واسمها المصدرُ المؤولُ المذكور، وكان يعلل ذلك بقوله : «وذلك أن في شرطِ إسمٍ كان وخبرها أن يكون اسمها أعرف من خبرها وقوله تعالى (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أعرف من (قول المؤمنين) وذلك لشبهه «أن» وصلتها بالمضمر من حيث كان لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصفُ المضمر والمضمرُ أعرف من (قول المؤمنين) فلذلك اختارت الجماعة أن تكون «أن» وصلتها إسمٌ «كان» ومثله : (ما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا) (٢٠٨) أي : الا قولهم على ما مضى» (٢٠٩).

وكان يقرأ قوله تعالى (لا يُرى إلا مساكنهم) (٢١٠) بالتاء المضمومة في (يرى) ورفع (مساكنهم) أي كان يقرأ (لا تُرى إلا مساكنهم) فكان ابنُ جني يضعف هذه القراءة ويقول : «... وابنُ أبي اسحاق (لا تُرى) بالتاء مضمومة (إلا مساكنهم) بالرفع... قال أبو الفتح : أما (تُرى) بالتاء ورفع (المساكن) فضعيف في العربية والشعرُ أولى بجوازه من القرآن، وذلك أنه من مواضع العموم في التذكير فكأنه في المعنى : لا يُرى شيءٌ إلا مساكنهم، وإذا كان المعنى هذا كان التذكير لإرادته هو الكلام» (٢١١). حتى

(٢٠٤) الفراء : معاني القرآن ج٣ ص ٣٠٠.

(٢٠٥) ابن النحاس : إعراب القرآن ج٣ ص ٧٨٩.

(٢٠٦) + (٢٠٧) سورة النور آية ٥١ يقول تعالى (إنما كان قولُ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا).

(٢٠٨) سورة الأعراف آية ٨٢.

(٢٠٩) ابن جني : المحتسب ج٢ ص ١١٥.

(٢١٠) سورة الأحقاف آية ٢٥.

(٢١١) ابن جني : المحتسب ج٢ ص ٢٦٥.

أبوحيان كان لا يميزُ هذه القراءةَ بناءً على رأي البصريين ويقول : « . . . وابن أبي اسحاق . . . بالتاء من فوق مضمومة (مساكنهم) بالرفع وهذا لا يميزه أصحابنا إلا في الشعر وبعضهم يميزه في الكلام » (٢١٢).

وكان يقرأ قوله تعالى (أشدد به أزري وأشركه في أمري) (٢١٣) بفتح همزة (أشدد) وضم همزة (أشركه) أي أشدد به أزري وأشركه في أمري) فكان ابن النحاس يرى أن هذه القراءة شاذة بعيدة عن قياس النحو فيقول بعد أن ينسب هذه القراءة إلى الحسن (٢١٤) وابن أبي اسحاق : « يجعلان الفعلين في موضع جزم جواباً لقوله (اجعل لي وزيراً من أهلي) وهذه القراءة شاذة بعيدة لأن جواب مثل هذا إنما ينجزم بمعنى الشرط والمجازاة فيكون المعنى : إن تجعل لي وزيراً من أهلي أشد به أزري وأشركه في أمري وأمره النبوة والرسالة وليس هذا إليه ﷺ فيخبر به وإنما يسأل الله جل وعز أن يشركه معه في النبوة » (٢١٥).

وكان يقرأ قوله تعالى (ص) (٢١٦) بكسر الدال والتنوين أي (صاد) على أن يكون مخفوضاً على حذف حرف القسم ، وكان ابن النحاس يرى أن قراءة الكسر والتنوين بعيدة (٢١٧).

ج - التناقض في الحكم على قراءته :-

لقد وقف النحاة والعلماء عند بعض قراءاته فاختلفوا في توجيهها وتأويلها وكان ذلك سبباً في إصدار أحكام مختلفة تصل أحياناً إلى درجة التناقض بين :

فكان يقرأ قوله تعالى (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) (٢١٨) بفتح همزة (أنا) وكان الفراء يرى أن فتحها من جهتين إحداهما : أن تردها على «كيف» وكان ابن

(٢١٢) أبوحيان : البحر المحيط ج ٨ ص ٦٥ .

(٢١٣) سورة طه آية ٣١ ، ٣٢ .

(٢١٤) هو الحسن البصري .

(٢١٥) ابن النحاس : إعراب القرآن ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٢١٦) سورة ص آية ١ .

(٢١٧) ابن النحاس : إعراب القرآن ج ٢ ص ٧٧٩ .

(٢١٨) سورة النمل آية ٥١ .

النحاس يردُّ هذا الوجهَ لأن «كيف» عنده للاستفهام و«أنا» غير داخل في الاستفهام. وثانيهما : أن تكون «أن» في «أنا» واسمها وخبرها في محلِّ نصب خبر «كان»، وكان ابنُ النحاس يردُّ هذا الوجهَ أيضاً ويقول : وهذا متعسِّفٌ، وكان يرى أن في فتحها خمسةَ أوجه، منها : أن يكون التقديرُ : لأنا دمرناهم وتكون «أن» في موضع نصب، ومنها أنه يجوزُ أن تكونَ في موضع رفع بدلاً من «عاقبة»^(٢١٩).

وكان يقرأ قوله تعالى (ما فعلوا إلّا قليلاً منهم)^(٢٢٠) بالنصب أي (إلّا قليلاً) وقد نص النحاة البصريون على أن الاختيار في مثل هذا التركيب اتباعُ ما بعد «إلّا» لما قبلها في الاعراب على البدل، وكان الزمخشري يرى أن النصب هنا على أصل الاستثناء أو على تأويل : إلّا فعلاً قليلاً^(٢٢١)، وكان أبوحيان، يرى أن تأويلَ الزمخشري هذا ضعيف لمخالفة مفهوم التأويل في قراءة الرفع، ولقوله (منهم) فإنه تعلق على هذا التركيب لو قلت : ما ضربوا زيداً ضرباً قليلاً منهم، أن يكون منهم لا فائدة في ذكره^(٢٢٢).

وكان يقرأ قوله تعالى (لا يجبُ الله الجهرَ بالسوءِ من القولِ إلّا من ظلم)^(٢٢٣) ببناء «ظلم» إلى المعلوم أي مبنياً للفاعل على أنه استثناء منقطع فقدره الزمخشري بأن الظالم يركب ما لم يجبهُ الله فيجهر بالسوء^(٢٢٤)، وقيل : إنَّ المعنى إلّا من ظلم في فعل أو قول فاجهروا له بالسوء من القول في معنى النهي عن فعله والتوبيخ والرد عليه، وقيل : لكن من ظلم فهو يجهر بالسوء وهو ظالم في ذلك، إذاً هناك ثلاثة تقارير في هذا الاستثناء المنقطع، أحدها راجعٌ إلى الجملة الأولى وهي (لا يجبُ) كأنه قيل : لكن الظالم يجب الجهر بالسوء فهو يفعله، والثاني راجع إلى فاعل الجهر أي : لا يجب الله أن يجهر أحد بالسوء لكنَّ الظالم يجهرُ بالسوء. والثالث راجعٌ إلى متعلق الجهرِ الفصلة المحذوفة أي : أن يجهر أحدكم لأحدٍ بالسوء لكن من ظلم فاجهروا له بالسوء^(٢٢٥).

(٢١٩) انظر : ابن النحاس - إعراب القرآن ج٢ ص ٥٢٧.

(٢٢٠) سورة النساء آية ٦٦.

(٢٢١) انظر : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - (ت ٥٣٨هـ) - الكشاف - ٣م - دار المعرفة - بيروت - ج١ ص ٥٣٩.

(٢٢٢) أبوحيان : البحر المحيط ج٣ ص ٢٨٥.

(٢٢٣) سورة النساء آية ١٤٨.

(٢٢٤) انظر : الزمخشري - الكشاف ج١ ص ٥٧٦.

(٢٢٥) انظر : أبوحيان - البحر المحيط ج٣ ص ٢٩٣.

والفراء - معاني القرآن ج١ ص ٢٩٣.

يتبين في هذا البحث أن ابن أبي اسحاق كان قد اختار قراءته بتوجيه عوامل مختلفة وأن قراءته اتسمت بلامح معينة كانت تبدو جلية واضحة للدارس المتبع المعين وأن قراءته كانت مركز اهتمام عند علماء اللغة وبخاصة علماء النحو فأثارت روح البحث والدرس فيهم فوقفوا عندها وناقشوها سلباً أم إيجاباً فكان لذلك أثر على الدراسات اللغوية .